

الفصل السابع

كُفَّ عَنِ التَّذْمَرِ

التذمر خطأ دائما وحمافة، ولكن هناك بعض المواقف، التي يكون فيها خطيراً جداً، وفي هذا الفصل سندرس أربعة من هذه المواقف.

أولاً: التذمر يشكل خطورة حقيقية، عندما نكون قد نلنا بركات وفيرة. فمثلاً إذا بدأت مشاكل في حياتنا الكنسية، نُجرب بأن نتذمر، وننسى أن نشكر من أجل حرية العبادة التي نتمتع بها، بينما يوجد مؤمنون في بلاد أخرى معرضون للسجن أو الموت لأنهم يتبعون المسيح. وإذا بارك الله كنيسة أخرى فقد نجرب بالغيرة والتذمر، وننسى أن نشكر لأن الله كما باركهم باركنا أيضاً، وإن كان بطريقة مختلفة. ربما يأتي دورنا في البركة بعد ذلك، فالذي باركهم يمكنه أن يبارك كنيستنا أيضاً. وعندما يحسن الله إلى كنيستنا في وقت نمر فيه نحن بمشاكل شخصية، نجرب بأن ننسى أن نشكر الله على إحسانه للكنيسة، عوض أن نتذمر على مشاكلنا الشخصية. علينا أن نكون قادرين دائماً على الابتهاج عندما يحسن الله إلى كنيستته.

ثانياً: يكون التذمر خطيراً جداً، إذا كنا نتذمر على أمور تافهة. إنه لمن الحمافة أن تغتم أم من أجل طفلها الذي يتمتع بصحة جيدة؛ لأنه ولد وفي جسده (وحمه) صغيرة. لقد أخطأ الملك آخاب، الذي كان يحكم مملكة بكاملها عندما اغتم واكتاب؛ لأنه لم يمتلك كرمًا معينًا. كذلك من الحمافة أن يتذمر المؤمنون بسبب أشياء تافهة.

ثالثاً: التذمر خطيرٌ جداً إذا صدر من الذين أجزل الله عليهم إحسانه. لو أن مسافراً غريباً قدّمت له ضيافة مجانية، فأشار إلى شيء لم يعجبه، فإن هذا يمثل وقاحة وجحوداً. أليس المؤمنون غرباء في هذا العالم، وكل ما عندهم أخذوه مجاناً من الله؟ فإن كان الله كريماً معهم هكذا، فلا مبرر لتذمرهم.

رابعاً: يكون التذمر خطيراً جداً، إذا كانت متاعبنا جزءاً من خطة الله لاتضاعنا. يقول الكتاب المقدس: "إن أخنوخ سار مع الله"، وهذا يعني أنه رأى ما كان الله يعمل في حياته وخضع له، ورثب حياته تبعاً لذلك. إن المؤمنين مهياؤن للخضوع لما يريد الله، حتى في وقت الضيق. إنهم واثقون أنه يعمل هذا ليدرّبهم على التواضع، وينمي حياتهم الروحية.

من الخطأ أن نتذمر، لأن الله يعمل ما هو لخيرنا؛ ومن الخطأ بصفة خاصة، أن نستمر في تذمرنا لأن الله مستمر في الإحسان إلينا. لا شك أن تحمل التأديب ليس بالأمر السهل، لكن الكتاب يخبرنا بأنه " أخيراً يعطي الذين يتدرّبون به ثمر بر للسلام" (عب 12 : 11). وكلما اختبر المؤمنون يد الله التي تضعهم، كلما وجب عليهم أن يقدروا عناية الله بهم.

عندما نجد أنفسنا نتذمر على أحد هذه المواقف، فإنها الآن ساعة لنكف عن ذلك. لكن لتأمل مرة أخرى في الموقفين الثالث والرابع، لنرى أن المؤمنين دائماً في موقف الذين أحسن الله إليهم إحساناً وافرًا. إنهم دائماً في موقف الذين يعمل الله ما هو لخيرهم، لذلك يكون التذمر خطيراً عندما يصدر منهم. وهذا يعني أن الوقت المحدد للكف عن التذمر لا يتغير، إنه الآن.